الأولياء

(٥٩١) تقول السائلة أ. م.: ما صفات أولياء الله؟ وكيف يكون المسلم وليًّا لله -عز وجل-؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولياء الله -تبارك وتعالى- هم الذين تولوا أمره، وقاموا بشريعته، وآمنوا به -جل وعلا- وكانوا من أنصار دينه، وقد بين الله ذلك في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]. فهؤلاء هم أولياء الله، الذين آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. آمنوا إيمانًا تامًّا ويقينًا صادقًا، وكانوا يتقون؛ يتقون معاصي الله، فيقومون بالواجب، ويَدَعون المحرم، فهم صالحون ظاهرًا وباطنًا.

وما أجملَ العبارةَ التي قالها شيخ الإسلام رحمه الله: «من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا». ومن ولاية الله الحب في الله، والبغض في الله؛ بأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ويبغض المرء لا يبغضه إلا لله.

وأما ما يذكره بعض الناس، الذين يدَّعون أنهم أولياء، وهم فسقة فجرة، فهذا كَذِب وخِداع، وقد يُجْرِي الله على أيدي هؤلاء من خوارق العادات ما يكون به فتنة، والخوارق هذه التي تأتي لغير الأولياء إنما هي من الشياطين، تأتي للمرء بأخبار الناس، أو تحمله في الهواء، أو ما أشبه ذلك، ويقول: هذا من ولاية الله. وكل من ادعى ولاية الله، ودعا الناس إلى تعظيمه وتبجيله، فليس من أولياء الله؛ لأن هذا تزكية للنفس، وإعجاب بها، وتزكية النفس من المحرمات، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم: ٣٢]. أي: لا تدَّعوا زكاءها، قد يدعي الإنسان أنه زَكِيٌّ، أو يتصور أنه زكي، وهو ليس كذلك. وأما قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]. فليس المراد من زَكَّاها بلسانه، وقال: إنه زكي. أو اعتقد زكاءه

بقلبه، وإنما المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[الشمس: ٩]. أي: فعل ما به تزكو نفسه.

وإنني بهذه المناسبة أحذر إخواني، الذين عندهم من يدعي الولاية، وهو أبعد الناس عنها لمحادته الله ورسوله، فليحذر إخواني من هؤلاء وأمثالهم أهل الشعبذة واللعب بعقول الناس، فإنهم لا ولاية لهم عند الله -عز وجل-.

***

(٥٩٢) يقول السائل: في هذا الزمن كثر من يدعي أنه من أولياء الله بحقٍّ، أو بغير حق، فهل هناك تحديدٌ أو صفاتٌ معينة بأولياء الله، لكي نفرق بين الولي والدجال؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم هناك تحديدٌ؛ لا تحديد أوضح منه، ولا أبين منه، وهو ما ذكره الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]. فهؤلاء هم أولياء الله، الذين جمعوا بين الإيمان الحقيقي في قلوبهم والتقوى الحقيقية في ظواهرهم، فهم أصلحوا البواطن والظواهر، فإذا رأيت الإنسان مؤمنًا بالله -والإيمان له علامات ظاهرة- متَّقِيًا الله فهذا هو الولي، وإذا رأيته دجالًا كَذابًا فهذا ليس بولي، وإن ادعى الولاية.

***

(٥٩٣) يقول السائل من المغرب: أسمع عن الأولياء، وأسمع عن الكرامات التي تحصل لبعض الأتقياء، فهل لكم أن تحدثونا عن صحة ذلك.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: أولًا يجب أن نعلم من هم أولياء الله؟ فنقول: أولياء الله تعالى من ذكرهم الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، سواءٌ أشهره العامة وزعموه وليًّا، أم كان خفيًّا على الناس لا يحب أن يَظهر، فالولي هو المؤمن التقي هذه واحدة.

ثانيًا: هل لكل وليٍّ كرامة؟ والجواب: لا، ليس لكل وليٍّ كرامة، بل من الأولياء من يعطيه الله تعالى كرامة محسوسة، يشهدها بنفسه، ويشهدها الناس، ومن الناس من يجعل الله كرامته زيادة إيمانه وتقواه، وهذه الكرامة أعظم من الكرامة الأولى الحسية؛ لأن هذه الكرامة أنفع للعبد من الكرامة الأولى؛ إذ إن الكرامة الأولى سببٌ لزيادة الإيمان والتقوى، وأما زيادة الإيمان والتقوى فهي الغاية، ولهذا نجد أن الصحابة رضي الله عنهم تَقِل فيهم الكرامات بالنسبة للتابعين؛ لأن كرامات الصحابة في زيادة إيمانهم وتقواهم، والتابعون ليسوا مثل الصحابة في ذلك، ولهذا كثرت الكرامات في عهدهم أكثر من الكرامات في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

والكرامات إما:

أن تكون في المكاشفات والعلوم.

وإما أن تكون في ظهور التأثيرات والقدرات.

فأما في المكاشفات: فكأن يُكشَف للإنسان عن شيء لا يعلمه غيره، كما ذكر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يخطب الناس يوم الجمعة على منبر رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فسمعه الناس يقول: الجبلَ يا سارية، الجبلَ يا سارية! فتعجبوا من ذلك، فكان الأمر أن أحد القواد حوصر في مواجهةٍ بينه وبين أعدائه، فكشف لعمر رضي الله عنه، عنه وهو على المنبر فخاطبه، قائلًا: الجبلَ يا سارية! فسمعه القائد، فانحاز إلى الجبل، فهذا توجيه من القائد الأعلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائد السرية أو الجيش من مكانٍ بعيد وسمعه، وليس في ذلك الوقت تليفونات هوائية ولاسلكية، ولكنها قدرة الله -عز وجل-، هذه كرامة في المكاشفات، كشف الله له ما لم يكن لغيره.

وتكون الكرامة في العلم: بأن يفتح الله على الإنسان من العلم ما لا يفتحه على غيره، ومن هؤلاء فيما نظن ما فتح الله به على شيخ الإسلام ابن

تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من العلم العظيم؛ العلم بالنقل، والعلم بالعقل، حتى إنك لتكاد أن تشك في هذه القدرة العظيمة التي أقدره الله عليها، وفتح الله عليه من العلم.

ومن ذلك أيضًا الكرامة في القدرة؛ بأن يجعل الله تعالى للإنسان قدرةً لم تكن لغيره، ومن ذلك ما يُذكَر في غزوات سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه كان يغزو الفرس، فيفتح الله عليه بلادهم بلدًا بعد بلد، حتى وصل إلى نهر دجلة، فلما وصل إلى النهر وجد أن الفرس قد أغرقوا السفن، وكسروا الجسور، وهربوا إلى الجانب الشرقي من النهر، فتوقَّف سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ماذا يصنع؟ فدعا سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ذا خبرة في أحوال الفرس، وما يصنعونه عند القتال، فاستشاره -أي: إن سعدًا استشار سلمان الفارسي- ماذا يصنع؟ فقال له: يا سعد ليس هناك شيء يمكن أن نصنعه، إلا أن ننظر في الجيش؛ هل عندهم من الإيمان والتقوى ما يُؤهِّلهم للنصر أم لا؟ فدَعْني أسبر القوم، وأنظر حالهم. فأمهله سعد، فجعل يذهب إلى الجيش، ويتفقَّد أحوالهم، وينظر أعمالهم، فوجدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم بالليل يبيتون لربهم سُجَّدًا وقيامًا، وفي النهار يصلحون أحوالهم، ويستعدون للقتال، فرجع بعد ثلاثٍ إلى سعد بن أبي وقاص، وأخبره الخبر، وقال: إن قوم موسى ليسوا أحق بالنصر منا، فقد فلق الله لهم البحر، وأنجاهم من فرعون وقومه، ونحن سوف نعبر هذا النهر بإذن الله. فأذَّن سعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالرحيل والتقدم إلى النهر، وقال: إني مكبرٌ ثلاثًا، فإذا كبرت الثالثة فسموا واعبروا. ففعلوا، فجعلوا يدخلون الماء كأنما يمشون على الصفا؛ خيلهم ورجلهم وإبلهم، حتى عبروا النهر، وهو يجري يقذف بزبده، فلما رآهم الفرس قال بعضهم لبعض: إنكم لا تقاتلون إنسًا، وإنما تقاتلون جنًا! فهربوا من المدائن -وهي عاصمتهم- حتى دخلها المسلمون، وفتح الله عليهم، هذه كرامة، قدروا على أمرٍ لا يَقْدِر عليه البشر بمقتضى قدراتهم؛ حيث خاضوا الماء والنهر يمشي، هكذا ذكر المؤرخون هذه القصة.

obeikandl.com

هذه كرامة في القدرة، وقصة عمر كرامة في المكاشفات؛ بأن الله يكشف له ما لا يدركه غيره.

ومن الكرامات ما حصل لمريم -عليها السلام- حين حملت بعيسى ابن مريم ﷺ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، فجلست إلى هذا الجذع وقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٣-٢٥]. قال: هزي إليك، وهي امرأة ماخض تهز بجذع النخلة، فيهتز فرعها، ومن المعلوم أن الهز بجذع النخلة -حسَب العادة- لا يمكن أن يهتز به فرع النخلة، لكن فرع النخلة اهتز، وتساقط منه الرطب، والنخلة لا شك أنها فوق قامة الإنسان؛ لأنها لو كانت بقدر القامة لتناولت الرطب بيدها، هذا من آيات الله، وهو من كرامة مريم -عليها السلام-.

***

(٥٩٤) يقول السائل ي. ح. من جمهورية مصر العربية من طنطا يقول: نسمع عن الكرامات لبعض الناس، ونسمع كثيرًا في بلدنا عن هذا الموضوع بأن هذا الرجل من أولياء الله الصالحين. فما حكم ذلك أيضًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الكرامات: خوارق للعادة يجريها الله -عز وجل- على يد الرجل الصالح، تكريمًا له، أو إقامة دليل على أن ما عليه فهو حق. فالكرامات إما لمصلحة الشخص نفسه، أو لمصلحة الدين، ولكنها لا تكون إلا للأولياء المتقين، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فهذا هو الولي الذي قد يظهر الله على يديه من الكرامات ما يدل على صدقه وصحة منهجه، وهذه الكرامات موجودة في الأمم السابقة، وموجودة في هذه الأمة، ولا تزال موجودة فيها إلى يوم القيامة.

فمن الكرامات للأمم السابقة ما جرى لمريم بنت عمران؛ حينما حملت

بعيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣-٢٥]. فأنت ترى هذه الكرامة؛ امرأة حامل، في فلاة من الأرض، أتاها المخاض، فيسَّر الله لها هذا الطعام والشراب: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤]، وفي الطعام قال: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥]. وهي امرأة نفساء، والمرأة ضعيفة، تُؤمَر بأن تهز بجذع النخلة، لا في رأسها، والهز بالجذع لا يحرك النخلة، لكن كرامة لها تحركت النخلة، ثم لما تحركت تساقط الرطب رطبًا جنيًّا، لم يتأثر بسقوطه على الأرض، مع أن الغالب أن الرطب إذا سقط من أعلى فإنه يفسد، يتمزق بسقوطه على الأرض، لكن هذا الرطب الذي تساقط على مريم تساقط عليها رطبًا جنيًّا، لم يتأثر بالأرض، ولم يتمزق بها، قال تعالى: ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ [مريم: ٢٦]. يعني: كلي واشربي قريرةَ العين، من غير خوف ولا حزن، هذا من الكرامة.

ومن الكرامات في الأمم السابقة ما جرى لأصحاب الكهف؛ فهم فتية آمنوا بربهم، كَرِهوا ما عليه قومهم من الشرك بالله -عز وجل-، خرجوا عن البلد، فأووا إلى غار، وناموا به، أتدري كم ناموا؟ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، وهم نيام، لا يحتاجون إلى أكل، ولا إلى شرب، ولا إلى بول، ولا إلى غائط، ولم تتمزق ثيابهم، ولم تَنْمُ شعورهم ولا أظفارهم، بل بقوا على ما هم عليه كل هذه المدة، يقلبهم الله تعالى ذات اليمين وذات الشمال؛ لِئلَّا يتحجَّر الدم على اليمين إن بقوا على اليمين دائمًا، أو على اليسار إن بقوا على اليسار دائمًا، ثم إنهم في كهف: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٧]، فلا تدخل عليهم الشمس فيسخنون، ولا يفسدون من الحر ولا من البرد، وهذه آية من آيات الله -عز وجل-، كرامة من كرامات الله.

ومن الكرامة كرامات هذه الأمة ما يذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أرسل سرية إلى العراق، وعليها رجل يقال له: سارية بن الجمير، فحصره العدو، فكشف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب الناس يوم الجمعة عن حال هذا القائد، فسمعه الناس يقول: الجبلَ يا سارية، الجبلَ يا سارية! فسمع ذلك سارية، فانحاز بالناس إلى الجبل، فسَلِم، وصارت العاقبة للمسلمين.

نقول: فأنت ترى الآن كرامة واضحة بالنسبة لعمر وبالنسبة لسارية؛ عمر رضي الله عنه كلم الرجل سارية، وسارية سمع كلامه، وليس هناك هاتف ولا برقية، ولكنها قدرة الله -عز وجل-.

وإذا أردت أن تعرف هذه الكرامات فراجع كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، الكتاب المسمى: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

وليعلم أن كثيرًا ممن يَدَّعِي الولاية اليوم تكون دعواه كذبًا؛ لأنك إذا فَتَّشت عن حاله وجدتَه من أعداء الله، لا من أولياء الله، فكيف يدعي أنه وليٌّ لله، ونراه يُجرِي على يديه الكرامات؟ فإن قال قائل: نعم، إنه تجري على أيديهم خوارق. قلنا: هذا من أعمال الشياطين؛ تعمل لهم الخوارق؛ من أجل أن يضل الناس بغير علم، بل من أجل أن يضل الناس عن علم.

ولهذا نقول: إن الكرامة لا تكون إلا لولي، والولي بينه الله -عز وجل- في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فأنت إذا أردت أن تزن الرجل، وهل هو ولي أم عدو، فعليك بهذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فإذا كان مؤمنًا تقيًّا فهو ولي، وإلا فهو دَعِيٌّ وليس بولي.

***

(٥٩٥) يقول السائل: سؤالي عن الكرامات والولاية، أرجو من فضيلة الشيخ أن يبين لي النقاط التالية: ما عليه الناس اليوم من إطلاق لفظ الولاية على كل إنسان.

فأجاب -رحمه الله تعالى-: الولاية لا يصح إطلاقها إلا على حسب الوصف الذي جاء في كتاب الله -عز وجل-، وقد بين الله تعالى في كتابه؛ حيث يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فبين الله -سبحانه وتعالى- أن ولايته لا تنال إلا بهذين الوصفين:

أولهما: الإيمان بما يجب الإيمان به.

ثانيهما: التقوى.

ففي الوصف الأول صلاح القلب، وفي الوصف الثاني صلاح الجسد.

فمن ادعى ولاية الله -عز وجل- وقد فاته الوصفان، أو أحدهما، فإنه كاذب، فلو وجدنا شخصًا يُجيز لنفسه أن يركع الناس له، وأن يسجد الناس له، أو يجيز لنفسه أن يستخدم الشياطين بأنواع من الشرك، ثم يدعي بعد هذا أنه ولي لله، فإننا نقول له: إنك كاذب؛ لأن أعمالك هذه تنافي الإيمان والتقوى، وما يحصل على يديه من خوارق العادات فإن ذلك لخدمة الشياطين له؛ لأن الشياطين تَقْوَى على ما لا يقوى عليه البشر، فيستخدم الشياطين لينال مأربه في إضلال عباد الله عن سبيل الله. وعلى هذا فمَن ادعى الولاية، ولم يكن متصفًا بالوصفينِ اللذين ذكرهما الله -عز وجل-، وهما: الإيمان، والتقوى، فإنه كاذب في دعواه.

***

(٥٩٦) يقول السائل أيضًا: مَن يُطلَق عليهم الأولياء اليوم عند الصوفية وما ينسب إليهم من الكرامات الباطلة، ما قولكم فيهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه فقرة بينها جواب الفقرة التي قبلها: فما ينسب إليهم من الكرامات، وهم على ضلال، فإنها إهانات في الحقيقة، وليست بكرامات؛ لأنها استدراج من الله -عز وجل- لهم، وهي في الحقيقة ليست كرامة، بل هي مما يخدمهم بها الشياطين من أجل إضلال عباد الله.

***

(٥٩٧) يقول السائل ع. أ. أ. وهو سوداني مقيم بالرياض: يوجد لدينا في السودان فئة من الناس تسمي نفسها أهل بيت النبي ﷺ، وهذه الفئة تقوم بأعمال لا أصل لها في الشرع؛ حيث إنهم يزعمون أنهم أولياء صالحون، ومن وقت لآخر يطوفون في ربوع أرجاء الوطن، ويستقبلون من العامة بالهتافات والترحيب، فيقدمون لهم الهدايا والقرابين -مع العلم أنهم في أشد الحاجة إليها- معتقدين أنها تعود عليهم بالبركة والخير من هذه الفئة، فهل يوجد في زماننا هذا بقية لأهل بيت النبي ﷺ؟ وهل هذه الأعمال التي يقومون بها جائزة؟ وكذلك المظاهر التي يقابلون بها؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: بكل بساطة نقول لهؤلاء المدعين أنهم من نَسْل رسول الله ﷺ: أَكِّدوا لنا ذلك ببرهان قاطع من الناحية التاريخية. ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ لم يَبْقَ له أولاد بلغوا وتزوجوا وأنجبوا، وإنما أولاده الذين ينسبون إليه ليسوا من أولاده لصلبه.

وعلى هذا فنقول لكل من ادَّعى أنه من آل البيت من هؤلاء: أكدوا لنا ذلك من الناحية التاريخية. فإن عجزوا عن الإثبات تبيَّن بطلان قولهم وكذبهم، وإن ثبت ذلك من الناحية التاريخية فإننا نقول: ليس كونكم من الذرية، أو من آل النبي ﷺ، بمُجدٍ عنكم شيئًا، إذا لم تكونوا على شريعته، فإن المهم أن تكونوا على شريعة النبي ﷺ، وإذا كنتم على شريعته حقًّا فإن لكم حق الإسلام، وحق القرابة من الرسول ﷺ.

ومجرد القرابة من رسول الله ﷺ لا تُغنِي شيئًا، فهذا أبو لهب عم النبي ﷺ أخو أبيه، لم يُغْنِ عنه قربه من النبي ﷺ شيئًا، بل أنزل الله تعالى سورة كاملة من القرآن في فضيحته إلى يوم القيامة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد: ١-٥].

والحاصل: أننا نحتاج في هذه الدعوى إلى إثباتها من الناحية التاريخية، ثم

إذا ثبتت ننظر إلى حال هؤلاء؛ فإن كانوا صالحين حقًّا يتمشون على شريعة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا فإن لهم حق الإسلام، وحق القرابة من الرسول ﷺ، وإن لم يكونوا كذلك فإنهم دجالون، ولا يستحقون شيئًا، ولا بركة في أعمالهم، ولا في أحوالهم.

والظاهر ما دام هؤلاء الجماعة يمشون على القرى وعلى السُّذَّج من الناس، ويدعون ما يدعون، الظاهر أنهم كاذبون فيما ادعوا؛ لأنهم غير مستقيمين أيضًا على ما ينبغي منهم في شريعة الله -سبحانه وتعالى-، وحينئذٍ فلا يستحقون شيئًا من التعظيم أو الإكبار، أو إتحافهم بالهدايا وغيرها.

***

(٥٩٨) يقول السائل أ. أ.: هل صحيح أن الصالحين والأولياء تنكشف لهم من أسرار القرآن ما لا ينكشف لغيرهم، وما ليس موجودًا في كتب التفاسير؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: ليس هناك أحد مخصوص بفَهم القرآن، بل فهم القرآن يكون لكل مسلم، لكن كل من كان بالله أعلم، وله أتقى، كان أقربَ إلى فَهم القرآن؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[محمد: ١٧]. ولما قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**»(١).

لكن هناك أناس يدعون أنهم أولياء، وأنه يُفتَح لهم في القرآن معانٍ باطنةٌ لا يعرفها أحد، ويجعلون ألفاظ القرآن رموزًا وإشارات لمعانٍ لا تُفهَم من ألفاظ القرآن بمقتضى اللغة العربية، ولا بمقتضى الحقيقة الشرعية، وهم الذين

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم (٣٠٤٧).

يسمون أنفسهم أهل العلم بالباطن، فهؤلاء لا يُقبَل قولهم في تفسير القرآن؛ لأنه كذب على الله -تبارك وتعالى-، فهم فسَّروا كلامه بما لا يدل عليه باللسان الذي نزل به وهو اللغة العربية، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]. وقال الله -تبارك وتعالى- في القرآن الكريم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. أي: بلغة عربية فصيحة.

وإنني بهذه المناسبة أحث إخواني -ولا سيما طلبة العلم- على الحرص على فهم معاني القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم نزل للتعبد بتلاوته، ولتدبر معناه والعمل به، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]. وكثير من طلاب العلم حريصون على فهم السنة، التي وردت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، بحثًا وتدقيقًا ومراجعة لكلام العلماء، ولكنهم مقصرون في تفسير القرآن وفهمه، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا قرءوا عشر آيات من كتاب الله لا يتجاوزونها حتى يتعلموها، وما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

إني أكرر الوصية لإخواني طلاب العلم أن يعتنوا بفهم القرآن الكريم، وأن يراجعوا عليه كلام العلماء في تفاسيرهم، وأعني بالعلماء العلماءَ الموثوق بهم؛ كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، وكتب الشوكاني، وما أشبههم، وكذلك تفسير شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله، وإن كان يوجد في مثل تفسير القرطبي بعض الشيء الذي ليس على ما ينبغي، وكذلك يوجد في تفسير ابن جرير آثار ضعيفة، لكن البصير يعرف كيف يتصرف.

***

(٥٩٩) يقول السائل: إذا مات شخص صالح وليٌّ هل ينفع أو يضر بعد موته، إذا تُوفِّي هل ينفع الناس أو يضرهم؟ أو ماذا يكون بعد وفاته؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: لا شك أن أحق الناس بالولاية وأعظمهم ولاية هو النبي ﷺ، وقد قال الله له آمرًا إياه أن يبلغ الأمة؛ بأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، وقد قال -تبارك وتعالى-: ﴿**قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وأمره كذلك أن يقول للناس بأنه لا يملك لهم مثل ذلك، فقال: ﴿**قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا**﴾ [الجن: ٢١]. فإذا كان هذا في أعظم الناس ولاية، وأقربهم من الله -تبارك وتعالى-، وهو محمد ﷺ فما بالك بمن دونه من الأولياء؟ فكل ولي، أو نبي، أو ملك، فإنه لا يملك لأحد نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، والذي يملك ذلك، ويدبر الخلق، هو الله -عز وجل-.

فإذا كان الولي لا يملك الضرر ولا النفع في حياته، فكذلك أيضًا لا يملك النفع ولا الضرر بعد موته، من باب أَوْلى، لهذا الأولياء ليس لهم حق في تدبير الكون، ولا في نفع الخلق، ولا في ضرر الخلق، والواجب على الإنسان أن يعلق ذلك بالله -عز وجل- وحده؛ لأنه هو المالك له.

ثم إنني أقول لهذا الأخ ولغيره: إنه يجب التحقق من انطباق وصف الولاية على من يوصف بها، فقد يقال: هذا وليٌّ لله، وهو عدو لله -عز وجل-؛ لأنه يُضِلُّ الناس، ويصدهم عن دين الله الحق، ويغريهم بما يكون على يديه من الخرافات والخزعبلات وغيرها، وميزان الولاية هو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

فمن كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، فإذا قيل عن شخص ما: إنه ولي، نظرنا في إيمانه وفي تقواه لله -عز وجل-، وهل هو مستقيم على شريعة الله -عز وجل-، حريص على اتباع النبي ﷺ، منفِّذٌ لشرع الله تعالى في قوله وفعله؟ وإلَّا فإنه ليس لله بولي، وإن زعم أنه ولي، فإذا كان يأتي بأمور محدثة في العبادة،

أو في العقيدة ويزعم أنه ولي، فهو كاذب في زعمه هذا؛ لأنه ليس بتقي، والولي هو المؤمن التقي.

***

(٦٠٠) يقول السائل: ما رأيكم فيما يعتقده بعض الناس في الأولياء من النفع والضر، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات، سواء الأحياء أم أصحاب القبور؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذا الاعتقاد باطل؛ لأن الذي بيده النفع والضرر وكشف الكربات هو الله -عز وجل- وليس الأولياء، فالأولياء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن غيرهم، سواء كانوا أحياء أم أمواتًا، وإنما الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء هو الله -عز وجل-، فإذا كان الأنبياء -وهم سادات الأولياء، وفوق مرتبة الأولياء- لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فما بالك بغيرهم؟ قال الله تعالى عن نوح: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال الله تعالى لنبيه محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال له: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فالأولياء لا يملكون لأحد شيئًا لا نفعًا ولا ضرًّا، سواء كانوا أحياء أم أمواتًا، فلا يملكون أن يهدوا ضالًّا، ولا أن يُغنوا فقيرًا، ولا أن يَشفُوا مريضًا، وإنما ذلك إلى الله -عز وجل-، هم بأنفسهم إذا أصابهم الضرر لا يملكون دفعه، ولا يملكون رفعه، بل هم عاجزون عن ذلك، فكيف يملكون لغيرهم ذلك؟

***

(٦٠١) يقول السائل: ما حكم الشرع -في نظركم- في زيارة قبور الأولياء والصالحين؟ هل هو محرم؟ وهل يجوز لنا أن نزورهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: **أولًا**: يجب أن نعرف من هو الولي؟ الولي بينه الله -عز وجل- في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]. فكل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا، وليس كل من ادعى الولاية يكون وليًّا، وهذه نقطة يجب أن يعرفها كل أحد، وذلك لأن بعض الناس يستغفلون العامة، ويدعون أنهم أولياء، وربما يؤيدون دعواهم بخدمة الشياطين لهم، فيظن العامة أن هذا من باب الكرامات، وهو في الحقيقة من باب الإهانات.

ثانيًا: بالنسبة لزيارة القبور؛ زيارة القبور عمومًا مستحبة، فعلها النبي -عليه الصلاة والسلام- وأمر بها، وأخبر عن فائدتها فقال: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**»(١). وفي رواية: «**فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»(٢). والإنسان إذا زار القبر، بل إذا زار القبور، تَذَكَّر الآخرة؛ حيث يتذكر أن هذا هو مثواه، وأنه لا بد أن يحله كما حله من قبله، ويتذكر أن هؤلاء الذين صاروا مرتهنين في قبورهم كانوا بالأمس على ظهر الأرض يمشون عليها، ويتمتعون بما فيها من نعم الله، كما يمشي عليها هو الآن، ويتمتع بما فيها من نعم الله، فيتذكر، ويخاف، ويعمل لهذا اليوم المحتوم الذي لا بد منه، ولهذا كانت زيارة القبور سنة مستحبة.

ولكن يجب أن نعلم أن زيارة القبور ليس من أجل أن ننتفع بزيارتهم انتفاعًا ماديًا؛ من كشف الكربات، وإغاثة اللهفات، وانتفاء المضرات، ولكن من أجل أن ندعو الله لهم؛ لأننا نقول عند زيارة القبور: السلام عليكم دار قوم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم.

وأما دعاء أصحاب القبور فهو شرك أكبر مخرج عن الملة؛ لأن هؤلاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا لغيرهم، وأما التبرُّك بترابهم أو التمسُّح بقبورهم فإنه بدعة مُنكَرة، وقد تصل إلى حد الكفر بحسَب اعتقاد الفاعل.

وزيارة القبور سُنة بالنسبة للرجال فقط، أما النساء فلا يُسَنُّ لهن زيارة القبور، بل إن النبي ﷺ **«لَعَنَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ»**[(١)]. ولا يرد على هذا ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أمرها أن تقول: **«السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ»**[(٢)]. فإن المراد بذلك من مَرَّت بمقبرة بدون قصد الزيارة، فإنه لا حرج عليها أن تسلم على أهل القبور، وتدعو لهم، والشأن فيمن خرجت من بيتها إلى زيارة المقبرة فإن هذا حرام عليها، بل من كبائر الذنوب؛ **«لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور»**.

***

(٦٠٢) يقول السائل من المملكة المغربية: هل زيارة الأولياء تجوز أم لا؟ وإذا كانت تجوز كيف الزيارة؟ وكيف يكون لنا أن نترحَّم عليهم؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: نعم، أولًا لا بد أن نعلم من هم الأولياء؟ هل الولي من أطال الشَّعَر، وكبَّر العمامة، وزاد في حبات المسبحة، أو ما أشبه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧١، رقم ٢٠٣٠). وأبو داود: كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، رقم (٣٢٣٦). والترمذي: أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا، رقم (٣٢٠). والنسائي: كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، رقم (٢٠٤٣). وابن ماجه: كتاب الجنائز، ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور، رقم (١٥٧٥).

(٢) تقدم تخريجه.

obeikandi.com

ذلك، مما يصطنعه من يدعون أنهم أولياء أم ماذا؟ الجواب على هذا أن نقول: إن الولي قد بينه الله -عز وجل- في كتابه فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. فالولي حقيقةً هو المؤمن بالله -عز وجل-، المؤمن بكل ما يجب الإيمان به، المتقي لله، والتقوى: اتخاذ الوقاية من عذاب الله؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

فإذا علمنا أن رجلًا بهذا الوصف فهو متَّقٍ، وزيارته إن كان حيًّا لا بأس بها، بل قد تكون مطلوبة؛ لما في الجلوس معه من الخير، فإن الولي المؤمن التقي جليسٌ صالح، وقد حث النبي -عليه الصلاة والسلام- على الجلوس معه، فقال -عليه الصلاة والسلام-: **«مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً»**(١).

وأما زيارة قبورهم؛ فإن كان الإنسان يزورها على سبيل التبرك بها فإن ذلك بدعة وذريعةٌ إلى الشرك، وإن كان يزورها ليدعو لهم فهذا لا بأس به، فإن زيارة القبور للدعاء لأهل القبور جائزة، وهي من الإحسان إليهم. وإن كان يزورها -أي: يزور قبور الأولياء- ليدعو الأولياء ويستغيث بهم، فهذا شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة، لا يُقبل من صاحبه صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا صدقة، ولا حج؛ لأنه مشركٌ شركًا أكبر، فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. ويقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤). ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم (٢٦٢٨).

﴿ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]. ويقول -عز وجل-: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على التحذير من دعاء غير الله، وعلى أنه كفرٌ، وشرك مخرجٌ من الملة.

فصارت زيارة هؤلاء الأولياء على ثلاثة وجوه:

١- زيارة للدعاء لهم والاتعاظ بأحوالهم، وهذه جائزة بل مطلوبة.

٢- زيارة للتبرك بهم، وهذه وسيلة إلى الشرك.

٣- زيارة لدعائهم والاستغاثة بهم، وهذا شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة.

ثم إن القسم الثاني، وهو التبرُّك بهم، إن كان يعتقد أن هؤلاء يجعلون البركة في سعيه، وفي أهله، وفي ماله، من أجل زيارتهم، فهذا شركٌ أكبر مخرجٌ عن الملة؛ لأن هؤلاء لا يقدرون على هذا، أمواتٌ غير أحياء، فلا يقدرون على أن ينفعوا أحدًا في دنياه؛ بكشف الضر، أو جلب النفع.

***

(٦٠٣) يقول السائل م. أ.: ما حكم زيارة الأولياء، سواءٌ كانوا أحياء أم أمواتًا؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: كلمة الأولياء لا ينبغي أن نطلقها إلا على مَن تحقَّقتْ فيه الولاية التي بينها الله -عز وجل- في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. وليست الولاية بالدعاية، أو بملابس معينة، أو بهيئةٍ معينة، ولكنها بالإيمان والتقوى، وكثيرٌ ممن يدعي الولاية يكون دَجَّالًا كذابًا، يدعو إلى تعظيم نفسه، وإلى سيطرته على عقول الخلق بغير الحق، فمثل هذا لا يستحق أن يُزار، ولا أن تُلبَّى دعوتُه، حتى يستقيم على أمر الله، ويرجع إلى دين الله، ويسلم الناس من شره ودجله.

وإذا عرفنا أن هذا الرجل من المؤمنين المتقين الذي لا يزكي نفسه، ولا يدعي الولاية، كان له حق على إخوانه المسلمين أن يحبوه في الله، وأن يحترموه الاحترام اللائق به، حتى يكون ذلك تشجيعًا له على مضيه فيما هو عليه من الإيمان والتقوى، وحثًّا لغيره أن يكون مثله في إيمانه وتقواه.

وأما زيارة الأولياء بعد الموت -كما قال السائل- فإن الأولياء الصادقين المتصفين بالإيمان والتقوى إذا ماتوا كانت زيارتهم كغيرهم، لا تختلف عن غيرهم؛ لأنهم محتاجون إلى الدعاء لهم، كما أن غيرهم من المسلمين محتاجٌ إلى الدعاء له، وليس في زيارة قبورهم مَزِيةٌ على زيارة غيرهم؛ من حيث النفع أو الضرر؛ لأنهم هم بأنفسهم محتاجون إلى عفو الله ومغفرته، وليس لهم من الأمر شيء، وما يفعله بعض العامة الجهلة من التردد على قبور من يسمونهم أولياء، أو يعتقدونهم أولياء، للاستشفاء بتراب القبر، أو التبرك بالدعوة عنده، أو ما أشبه ذلك، فكل هذا من البدع، بل قد تكون وسيلةً إلى الشرك بهم، ودعائهم مع الله -عز وجل-.

***

(٦٠٤) تقول السائلة: في أغلب الأوقات عندما أستمع لأحد العلماء، وهو يؤدي الصلاة من خلال المذياع، يخطر في قلبي بأنه سيقرأ في الركعة الأولى خواتيم سورة البقرة مثلًا، وفي الركعة الثانية خواتيم سورة التوبة، وأتكلم بذلك فيأتي كما قلتُ، وهذا يحدث لي كثيرًا، ولا أقول بأني أعلم الغيب -حاشا- فلا يعلم الغيبَ إلا اللهُ -عز وجل-، ولكن هل تعتبر هذه مكرمة لي من الله؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: هذه ليست مكرمة، وليست علمَ غَيْبٍ، ولكنها ظنٌّ يقع في قلب الإنسان؛ أن يكون كذا وكذا فيكون، ولا سيما إذا كان هذا الإمام قد اعتاد أنه إذا قرأ خواتيم سورة البقرة قرأ خواتيم سورة التوبة، فإن سامعه يتوقَّع أنه بعد قراءته لخواتيم سورة البقرة أن يقرأ خواتيم سورة

التوبة، وليس كل ظن يقع كما ظنه الظانُّ يكون كرامةً للإنسان، أو علمَ غيبٍ؛ لأن الكرامة أمر خارق للعادة، يظهره الله -تبارك وتعالى- على يد ولي من أوليائه، وهذا الظن الذي يستفاد من القرائن، وليس بأمر خارق للعادة.

obeikandl.com